بيئة الاندلس : ج ٢

المحاضرة الثانية : للدراسات العليا

ماجستير /الأدب

للعام الدراسي:٢٠٢٤-٢٠٢٥م

الاستاذ الدكتور لؤي صيهود التميمي

بواعث شعر الطبيعة في الأندلس :

تنعم البيئة الأندلسية بجمال و روعة آسرة و تصطبغ بظلال و ارفة و الوان ساحرة ما تبعث الإنبهار و الدهشة في النفوس و الشاعر هو ابن بيئتهِ وهو بلا شك يتفاعل و يتعايش مع الطبيعة فهو يتأثر فيها و ينفعل بها و هناك علاقة تأثير و تأثر فالطبيعة الأندلسية ساهمت في جعل البيئة الأندلسية فضاءاً للإبداع فيعمد الشاعر الأندلسي الى معانقة الطبيعة في شعرهِ فيراهن على تجسيدها و تشخيصها في اشعارهِ فكان الوصف أي وصف الطبيعة هو ابهى مظاهر الشعر الأندلسي في خصب عقول الشعراء و رفاهية حسهم ورقة تصويرهم و سعة خيالهم فكان الشاعر الكبير ((ابن خفاجة)) وهو يُعد مدرسة خاصة في وصف الطبيعة قد وصف الأندلس فجعل منها جنة الله في أرضهِ فيقول : (١)

يَأهلَ أَندَلُسٍ لِلَّهِ دَرُّكُمُ ماءٌ وَظِلٌّ وَأَنهارٌ وَأَشجارُ

ما جَنَّةُ الخُلدِ إِلّا في دِيارِكُمُ وَلَو تَخَيَّرتُ هَذا كُنتُ أَختارُ

فكانت الأجواء في الأندلس خلّابة والطبيعة تفرض نفسها على الشاعر فالنفوس اذا طابت غنّت وتغزلت، ومن جانب آخر أرادوا التميز عن المشرق فكان لدخول بعض أعلام المشرق الى الأندلس هو دافع الى نهضة أدبية واسعة في مختلف المحالات وذلك لأقبال

---

١ **ديوان ابن خفاجة : ص٧٢.**

الأندلسيين على العلوم من جهة، والتشجيع الذي أبداه حكام الأندلس للعلوم والفنون من جهة أخرى وهو ما أدى الى نهضة ثقافية في الأندلس، فكان الشغر العمودي التقليدي هو في مقدمة أنواع الشعر التي كان الأندلسيين فيها نتاج واسع، فكان تقليد أدباء الأندلس لأدباء المشرق في الأغراض و المعاني و بناء القصيدة و ثقفيتها و طرق التخيل، ثم اضافوا إليها بعد نضج شخصيتهم الأندلسية ما جعلهم يوسعون و يطورون هذه الأغراض فظهرت الموشحات و هو من أنواع الشعر و هو فن اندلسي أصيل برع فيه أهل الأندلس و اجادوه و عنهم أخذَ المشارقة و قلدوهم (٢)

و كذلك من جانب آخر لم يكن جمال الطبيعة في الأندلس هو وحده الذي ساعد على إزدهار شعر الطبيعة، بل إنَّ حياة المجتمع الأندلسي أثرة ايضاً في هذا الشعر و كانت سبباً في ازدهارهِ لكون الشعر عندهم يصف طبيعة الأندلس سواء الطبيعة الطبيعية أو الصناعية فهم يصورونها كما أبدعها الله في الحقول و الرياض و الأنهار و الجبال و السماء و القصور و المساجد و البرك و الاحواض و غيرها.

الطبيعة الصامتة :

---

٢ - **ينظر : دراسات في الأدب الأندلسي : العربي سالم الشريف،ص٢٩**

يقصد بها مظاهر الطبيعة المتجسدة في سهولها و انهارها و سمائها و ما تحويه من أبنية و قصور و أزهار فشكلت الزهور ملمحاً واضحاً في الشعر الأندلسي فمن أجمل ما قيل في الورد من رقة وصف ورفة ذوق و افتنان قول أبن غالب البلنسي الرصافي: (٣)

يا وَردَةً جادَت بِها يَدُ مُتحِفي فَهَمى لَها دَمعي وَهاجَ تَأَسُّفي

حَمراءُ عاطِرَةُ النَسيمِ كَأَنَّها مِن خَدِّ مُقتَبِلِ الشَبيبَةِ مُترَفِ

الطبيعة المتحركة :

و يقصد بها ما اشتملت عليه من أصناف الحيوان فالحيوانات كانت تشكل قيمه كبرى ترفد الصورة بكثير من الصفات و قد أبرز الشاعر الأندلسي وصف الحيوانات مع دقة التعبير و صدق العاطفة، فقد وصف الخيل و الأبل و الطيور و الأسود و الذئاب و كانت الخيل من ابرز مظاهر الطبيعة الحية المتجسدة في الشعر العربي و أكثر شعراء الأندلس من وصفها و

---

٣ - **الأدب الأندلسي. موضوعاته و فنونه : د.مصطفى الشكعة.ص٢٧٧**

يأتي أبن زمرك، إبن خفاجة، أبن حمديس في مقدمة الشعراء الذين افتتنوا بها و وقفوا على اصنافها و أنواعها والوانها فيصف ابن خفاجة فيقول (٢) : (٤)

وَمُطَهَّمٍ شَرِقِ الأَديمِ كَأَنَّما أَلِفَت مَعاطِفُهُ النَجيعَ خِضابا

طَرِبٌ إِذا غَنّى الحُسامُ مُمَزِّقٌ ثَوبَ العَجاجَةِ جيئَةً وَذَهابا

فهو يصف فرسه الأشقر وسط المعركة وشبّهه بما يناسب المقام فهو مطهم، شرق الأديم كأنه مخضب بالدم وهو يخوض المعركة مخترق عجاجها جيئة وذهاب وهو دليلاً على شجاعتهِ وقوتهِ.

من هنا نرى إن الشاعر الأندلسي قد افتنَّ بالطبيعة الأندلسية فجاءة الطبيعة في اشعارهم من خلال غرض الغزل و الوصف و حتى الرثاء، و نلمس في الشعر الأندلسي التصاق المرأة بالطبيعة و هي ذات صلة وثيقة بمظاهر الجمال فيها و كان الشاعر ابن زيدون من اشهر شعراء الأندلس كان قد ربط الطبيعة بالحب فأسقط مشاعره على مظاهر الطبيعة و أشركها في آلامهِ و احزانهِ و أستحق عند احد الباحثين المعاصرين لقب (شاعر الحب و الطبيعة) فيقول في حبهِ لولادة بنت المستكفي : (٥)

---

٤ - **الطبيعة في شعر ابن خفاجة .ص٢٣٧**

٥ - **الجامع في تأريخ الأدب العربي : ص٩٧٠**

أضْحَى التّنائي بَديلاً عنْ تَدانِينَا وَنَابَ عَنْ طيبِ لُقْيانَا تجافينَا

فكانت المرأة صورة من محاسن الطبيعة فكانت الحبيبة روضاً و جنةً و شمساً فقد قال المقري عن شعراء الأندلس : ((إنَّهم إذا تغزلوا صاغوا من الوردِ خدوداً و مِن النرجسِ عيوناً و من الآسلِ أصداغاً و من قصب السكر قدوداً ...)) (٦)

وجمال الطبيعة لم يكن وحده الذي ساعد على إزدهار شعر الطبيعة في الأندلس بل إنَّ الحياة اللاهية و الترف التي عاشها الشعراء كانت سبباً لهذا الأزدهار فقد أستسلم للهوهِ و حبهِ و خمرهِ و عكف يصور هذا اللهو فيقول ابن حمديس وهو يصف الخمر في ظلال الطبيعة : (٧)

نحنُ في جَنّةٍ نُباكِرُ منها ساحِلَيْ جَدْوَلٍ كسَيفٍ مُجَرّد

ومُدامٍ تطيرُ في الصحنِ سُكراً فتُحَلّ العقُودُ منها وتعقد

فالشاعر الأندلسي لم يترك شيئاً إلا و وصفهُ وصفاً يجمع بين البراعة التصويرية و التوفيق الشامل في الوصف فقد وصف إبن حمديس تماثيل الأسود و هي تقذف المياه من افواهها و

---

٦ - **في الأدب الأندلسي : ص١٣٢**

٧ - **في الأدب الأندلسي : ص١٣٥**

هي من مظاهر بذخ الطبيعة حيث أدخل الأندلسيون مياه الأنهارالى قصورهم الباذخة لترفد البرك الفخمة في الباحات من خلال هذه التماثيل فيقول : (٨)

وضراغمٌ سَكَنَتْ عرينَ رئاسةٍ تركتْ خريرَ الماء فيه زئيرا

فكأنّما غَشّى النّضارُ جُسومَهَا وأذابَ في أفواهِها البلّورا

فهنا يصف البحيرة و ما فيها من تماثيل و مناظر متباينة و هي صور جديدة.

و من جانب آخر كان الحنين الى المشرق يمثل جنباً كبيراً من أماني شعراء الأندلس و أحلامهم فعبدالرحمن الداخل لا تُثنيهِ العزة و الرفاهية عن الحنين الى المشرق فيقول : (٩)

تبدَّتْ لنا وسْطَ الرُّصافة نخلةٌ تناءتْ بأرضِ الغرب عن بلد النخل

فقلتُ شبيهي في التغرُّب والنوى وطولِ التَّنائي عن بَنِيَّ وعن أهلي

فهنا الأمير (عبدالرحمن الداخل) كان أميراً في بلادهِ إنتقلَ الى الأندلس فيصف نفسهُ بإنه النخلة وهو يوحي للمتلقي بأنه يُحاكي نخلة (شاخصة أمامهُ) في إشارةٍ منهُ الى حنينهِ الى أهلهِ فالنخلة هي أعلى شجرة في بلد المشرق و هي رمز العز و الشموخ ،

---

٨ - **في الأدب الأندلسي : ص٣١١**

٩ - **رفي الأدب الأندلسي : ص٢٤٨**

فكان من انعكاسات البيئة على الشعر في الأندلس هو التشخيص و التصوير و التجسيد أي تصوير الطبيعة على نحو إنساني تملؤهُ الحركة و النشاط كما في شعر إبن زيدون و إبن خفاجة و غيرهما وكما فعل لسان الدين بن الخطيب في موشحتهِ التي عراض بها موشحة ابن سهل و مطلعها (١٠)

جادَكَ الغيْثُ إذا الغيْثُ هَمى يا زَمانَ الوصْلِ بالأندَلُسِ

لمْ يكُنْ وصْلُكَ إلاّ حُلُما في الكَرَى أو خِلسَةَ المُخْتَلِسِ

في هذهِ الموشحة يُجلّل الحيا الروض فتبسم ثغور الزهور، و يتنامى الماء و الحصى فيغارُ الوردُ و يحمرُ فقد قالها في الغزل وذكر الطبيعة و مدح به سلطانهِ (الغني بالله) .

الخصائص التي تميز بها شعر الطبيعة في الأندلس :

١- هو شعر يمثل تعلق شعراء ببيئتهم و تفضيلها على غيرها من البيئات كما عند ابن خفاجة و ابن زيدون و أبن حمديس و غيرهم.

٢- هو شعر يصف طبيعة الأندلس الطبيعية و الصناعية.

---

١٠ - **في الأدب الأندلسي : ص١٣٣.**

٣- هو شعر يصف الأقاليم الطبيعية المختلفة لـبلاد الأندلس فكان ابن زيدون يتغنى بقرطبة و ابن سفر المريني يصف اشبيلية و هكذا.

٤- الطبيعة عندهم تبعث جو الطرب ووصفها يمثل الجوانب الضاحكة و الندية منها.

٥- وصف الطبيعة عندهم مرتبط بالغزل و الخمر فهم يمنحون غزلهم لوناً بهيجاً من الجمال الذي تقدمه الطبيعة.

٦- المرأة صورة من محاسن الطبيعة، و الطبيعة تجد في المرأة ظلها و جمالها.

٧- شعر الطبيعة لا يظهر كغرض مستقل الا نادراً في بعض المقطوعات و القصائد، فقد امتزج في أكثر أغراض الشعر كالغزل و المدح و الفخر.

٨- شعرهم يعني بتشخيص الطبيعة و تصويرها و تجسيدها على نحو انساني تملؤهُ الحركة و النشاط.